(٢٠)

مسالة في توارد الادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مسألة :

وجدت كل المتكلمين قالوا في كتبهم ، حتى سيدنا (كبت الله أعداءه) الذي هو امامهم والكاشف عمايلبس عليهم ، أن من شروط النظر المؤدي الى العلم، أن يكون الناظر شاكاً في مدلول. [و] هذا القول يوجب أن يكون العالم بحدوث الاجسام من جهة دليل الاعراض، العالم بأن الادراك الايتناول الاخص[1] الاصاف ، ولايعلم بدليل أبي علي بن سينا بدلا يمكنه النظر فيه .

ونحن نعلم أن من لايعلم أن الموجود اذا لم يكن قديماً، فلابد كونه محدثاً غير كامل العقل .

على أنهم قالوا أيضاً حتى سألوا نفوسهم ، فقالوا : ما وجه ترادف الادلة على المدلول الواحد ، وجهته : أنا نعلم أنها مما لوسبقنا اليها لوجدت العلم.

---

١)]ظ : لايتناول الا أخص الاوصاف .

مع قولهم انا لانفرق بين الدليل والشبهة الا بعد توليد الدليل للعلم ، فكيف يعلم أنها لا يمكننا النظر فيها ولا يولد لنا علماً أبداً .

فان قيل: انه اذ نظر غيرنا فيها اضطرنا الى أنه علم بمدلولها، فعلمنا أنها أدلة. أمكن له [أن][1] يقال: انه لاسبيل الى أن يعلم أحدنا عالماً ، وان جاز أن يعلمه معتقداً ، واذا لم يعلمه عالماً فلا سبيل الى ما ذكروه .

الجواب :

اعلم أنه لاشبهة في القول بأن من علم شيئاً من المعلومات بدليل نظر فيه أوجب له العلم، لايصح أن يعلمه بدليل آخر ، اذا اجتمع مع القول بأن وجه النظر في الأدلة المترادفة مع تقدم العلم بالمعلوم ،انماهوليعلم أن ذلك المنظور فيه دليل مناقضته .

وقول بيننا[2] في أن الدليل انمايعلم دليلا اذا حصل عنده العلم فكيف يجوز أن يعلم في الدليل الثاني اذا نظرنا فيه انه دليل وما حصل لنا عنده علم .

والذي يقوي في النفس أن يقال : ان من نظر في شيء يعلمه من طريق الدليل ، قد يجوز أن ينظر في دليل آخر يفضي الى العلم به ، ويكون عالماً به من طريقين .

مثال ذلك: أن ينظر في طريق اثبات الاعراض، ويستدل بها على حدوث الاجسام، فيعلم بهذه الطريقة أن الاجسام محدثة ، ثم ينظر في الطريقة الاخرى يعتمد فيها على أن من شأن الادراك أن يتعلق في كل ذات مدركة بأخص أوصافها

---

١) الزيادة منا .

٢) ظ : وقد بينا .

والجسم لو كان قديماً لوجب ادراكه على هذه الصفة، لانها من أخص أوصافه ، فاذا علم ضرورة أنه لايدرك قديماً ، فلا بد من العلم بحدوثه .

وهذه الطريقة مبنية على مقدمات :

منها : أن الجسم مدرك .

ومنها : أن من شأن الادراك أن يتعلق بأخص أوصاف الذات المدركة .

ومنها : أن الجسم لو كان قديماً لكان كونه بهذه الصفة من أخص أوصافه .

ومنها : أن [1] لايدرك قديماً .

فمتى علم بالتأمل صحة هذه المقدمات ، فلا بد أن يفعل لنفسه اعتقاداً ، لان الجسم ليس بقديم ، واذا لم يكن قديماً وهو موجود ، فلا بد من كونه محدثاً .

وانما قلنا انه مع صحة تلك المقدمات وعلمه بها لابد أن يفعل اعتقاداً لانه ليس بقديم . أن مجموع ماذكرناه ملجىء له الى فعل هذا الاعتقاد، كما أن من علم في ذات أنها لم يسبق ذواتاً محدثة ملجأ الى اعتقادكونها [كذلك] ومن علم في فعل له صفة الظلم ملجأ بما استقر في عقله من قبح ماله هذه الصفة الى فعل اعتقاد لقبحه، ويكون ذلك الاعتقاد علماً، لوقوعه على الوجه الذي ذكرناه.

فان قيل : كيف ينظر في حدوث الجسم بالدليل الثاني وهو عالم بحدوثه بالدليل الاول، والعلم بالشيء يمنع من النظر فيه، ولو جاز أن ينظر فيما علمه، لجاز أن ينظر في المشاهدات .

قلنا : ليس نظره في الدليل الثاني على الحقيقة نظراً في صدور [2] الجسم، فيلزم أن يكون شاكاً في حدوثه، وانما ينظر في مقدمات الدليل الثاني التي منها

---

١) ظ : أنه .

٢) ظ : حدوث .

أن من شأن الادراك أن يتعلق بأخص أوصاف المدرك، ومنها أن الجسم لو كان قديماً لكان كونه كذلك من أخص أوصافه، وغير ذلك مما قد بيناه.

واذا نظر في شيء، فيجب أن يكون شاكاً في متناول الادراك وسائر مقدمات الدليل وعلى[1] بالدليل الاول حدوث الاجسام لايمنع من شكه في مقدمات الدليل الثاني. وانما يمنع على الوجه الصحيح أن يكون ناظراً في شيء وهو عالماً[2] به، أن النظر لا يتعلق من المنظور فيه بوجه معين، بل يتعلق بهل الصفة ثابتة أم منتفية، فكأنه يمثل من الامرين، ويجب عن ادراكهما الثابت، فلابد من الشك مع ذلك، لان العلم والقطع ينافيان وجه تعلق النظر.

فهذا هو المانع من نظر الناظر فيمايعلمه، لا ما يذكر في الكتب من النظر في المشاهدات.

لان لقائل أن يقول: انما لا يصح أن ينظر في المشاهدات، لانه دليل يفضي الى العلم بها، ولو لا أن النظر في الدليل الثاني يحصل عنده علم بالمدلول عليه، لوجب أن يكون من علم حدوث الاجسام بدليل اثبات الاعراض[5]، ثم نظر في الطريقة الاخرى المبنية على كيفية يتناول الادراك متى عرض له شك في اثبات الاعراض، أن يخرج من أن يكون عالماً بحدوث الاجسام، لان شكه في حدوث الاجسام يؤثر في علمه بحدوثها من هذا الطريق بدلالة أنه لوانفرد كونه ناظراً بهذا الدليل دون غيره حتى يشك في اثبات الاكوان أو حدوثها أوأن الجسم لايخلو منها يخرج من أن يكون عالماً بحدوث الاجسام.

وقد علمنا أنه اذا كان قد نظر في الطريقة الثانية، ثم شك في اثبات الاكوان، لايخرج من أن يكون عالماً بحدوث الاجسام، فلولا أن الطريقة الثانية قد

---

١) ظ: والعلم بالدليل.

٢) ظ: وهو عالم.

اقتضت حصول علم له بالمدلول ، لما وجب مع الشبهة في الدليل الاول أن يستمر كونه عالماً ، وهذا أوضح .

فان قيل : كيف يعلم في الدليل الثاني أنه دليل ، وهو لا يتميز له حصول العلم له من جهته ، لانه اذا كان عالماً بحدوث الاجسام بالدليل الاول ، ثم نظر في الدليل الثاني ، وادعيتم أنه يجب أن يفعل لنفسه عند تكامل صحة مقدمات الدليل الثاني اعتقاد حدوث الاجسام . وهذا مما لا يتميز له، لانه معتقد وعالم بحدوث الاجسام بالنظر الاول، فكيف يعلم أن الدليل الثاني دليل على الحقيقة. ولا يجري ذلك مجرى من لم يكن عالماً بشيء ، ثم نظر في دليل عليه فوجد نفسه عالماً لم يكن عالماً به ، لان هاهنا تمييز [1] له حصول العلم بعد أن يكون حاصلا .

قلنا : الناظر قبل أن ينظر في الدليل الثاني اذا تأمل مقدماته ، فلا بد أن يكون عالماً بأنها من صحة، وعلم الناظر ذلك من حالها، فانه لابد أن يفعل لنفسه علماً بحدوث الاجسام ، وأنه لايجوز أن يتكامل له العلم بثبوت المقدمات وصحتها ، ولم يفعل لنفسه علماً بحدوث الجسم .

كما أنه يعلم قبل النظر في طريقة اثبات الاعراض وحدوثها، أنه متى علم الناظر أن الجسم [2] بشيء ذواتاً محدثة، فلابد أن يفعل لنفسه اعتقاداً، لانه محدث ويكون ذلك الاعتقاد علماً لهذا الوجه، فكان العلم بأن الدليل دليل هو علم بتعلقه بالمدلول على وجه مخصوص يفضي الى العلم .

ومن قال: ان النظر في الدليل الثاني لايحصل عنده علم، بأن يقتضي يضيق عليه هذا الكلام .

---

١) ظ : يتميز له حصول العلم بعد أن لم يكن حاصلا .
٢) ظ : العلم .

ويقال له: ان معنى قولك انه ينظر في الدليل الثاني أنه دليل لا يعلم المدلول عليه . فأنت تزعم أن العلم بأن الدليل دليل هو علم بالمدلول، واذا كان العلم عندك بأن الدليل دليل انما يحصل بعد حصول العلم للناظر بالمدلول ، فهـذا الناظر لا يعلم أبداً أن هذا الدليل الثاني، فلا بد أن يكون ما يمضي في الكتب من أن العلم بأن الدليل دليل ، وهو علم بـالمدلول فيـه ضرب من التجوز والاختصار .

ويجب أن يقال : ان العلم بأنه دليل لا بد أن يفارقه العلم بالمدلول ، والا فقد علم المدلول من لايعرف أن ذلك الدليل عليه، وقديجهل كون هذه الطريقة دالة على المدلول من يعلم المدلول .

فالذي ذكرناه أوضح وأتم .

والحمدلله رب العاملين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل .